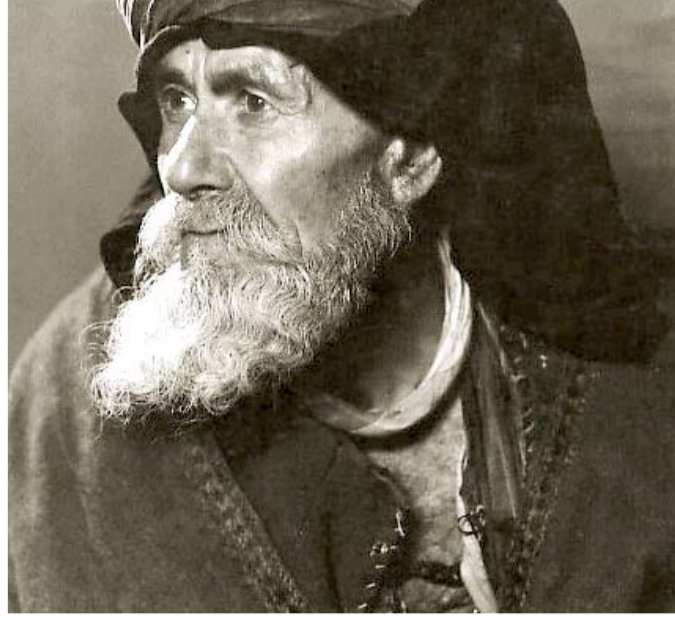


مراد الداغستاني وأسرار عدسته



وجه أفغاني في الموصل



العرضالحجي

ألوان باهرة في لقطات بالأسود والأبيض

أرشيف الفوتوغرافي العراقي مراد الداغستاني في كتاب جديد يوثق لزمان آفل



خيول تحت مطر الموصل



الصيد على ضفاف دجلة

في العراق آنذاك، وهي درس باهر في التقاط اللحظة الهاربة، صورة البدوية على هودج الجمل، المصور الشمسي المنحني الظهر وهو يحمل الكرسي المطوي، الصيادون، الجسور.. لكن ذلك لا يكفي بالنسبة للمطالعين بإعادة قراءة هذا النتاج المهم في تاريخ التصوير العراقي والعربي، فهيم فتح الله اكتفى بملاحظاته على الصور، بينما ما نحتاجه أكثر من ذلك في دراسة نقدية ومعلوماتية شاملة عن سيرة وطبيعة حياة مراد الداغستاني، الذي لم يحظ بغير دراسات محدودة وحوارات نادرة في الصحافة العراقية حتى رحيله عام 1982.

سامي النصاروي مؤسس جمعية التصوير العراقية في سبعينات القرن الماضي كان لا يخفي تأثره بأعمال الداغستاني عندما كان يلازمه في كل زيارته إلى بغداد قادمًا من الموصل، ويظهر لنا كتاب فتح الله صورة السوق عند الداغستاني والنصاروي والرؤية البصرية المتطابقة بين الصورتين. في هذا الكتاب متعة تأمل لا تضاهي للقطات من الحياة برمتها في العراق وبعض مدن العالم عرفت في وثائق الداغستاني، تكفي الإشارة إلى صورة كاتب العرضالحجي "العرضالحجي" التي وثقت مشهدها باهرا عن بدائية الحياة

يفسر لنا لماذا تتوفر في أرشيفه عدة لقطات لوجه واحد. الداغستاني كما يبدو من صورته الملتقطه للطبيعة، رجل هادئ مرهف الحس، فكل صورته للطبيعة ساكنة بالرغم من وجود كائنات متحركة فيها، لكنها لا تبدو مثيرة للضجيج، ذلك ما تظهر لنا صورته للجسور والنواوير وشواطئ الأنهار وحركة الصيادين والقوارب.

كل صور الكتاب بالأسود والأبيض، وذلك من حسن حظ الفوتوغراف! لأنه لم تكن أمام الداغستاني قبل رحيله فرصة للحاق بالتصوير الملون الذي دخل العراق في فترات متأخرة

يجري مؤلف كتاب "مراد الداغستاني بين الفن البصري والتشكيل الفوتوغرافي" مقارنة تكشف لنا تآثر الجيل الذي ظهر بعد الداغستاني بكل لقطات هذا الفنان العراقي الرائد. فنظام رمزي مثلا النقط صورة للدراجة في باريس عام 1965 هي نسخة طبق الأصل من صورة الدراجة التي التقطها الداغستاني في الموصل، في الفكرة والرؤية التسجيلية، كما في صورة اللقطة على نهر دجلة التي ماثلها رمزي في صورة من ساحل بيروت التقطها عام 1975، والصورة المثيرة للجدل التي وثقتها ناظم رمزي خلال زيارته لإسكندرية عام 1958 المأخوذة من الأعلى للعربات والخيول، هي نفس اللقطة التي وثقتها الداغستاني من الأعلى لعربات الخيول في الموصل.

كذلك الحال مع لقطات الفنان الرائد لطيف العاني، كما يظهر لنا هيم فتح الله مقارنة دقيقة في النص والصورة المنشورة للقطعة الغروب عند الداغستاني والعاني التي التقطها عام 1965. على الرغم من اختلاف روحية المكان إلا أن التأثر واضح في تأمل الصورتين معا.

يجمع لنا فتح الله بجهد تأملي موثق لعدد من الصور لجيل من الفوتوغرافيين العراقيين المتأثرين بشكل لا لبس فيه بأسلوب الداغستاني مثل لطيف العاني وأوديس ماركاريان الذي عرف باسم كوفاديس لاحقا، الذي استخدم نفس تكنيك الداغستاني خصوصا ما يتعلق بدمج الفيلم السالب مع الفيلم الموجب للحصول على صورة مغايرة فيها لمسة تشكيلة، كذلك نور الدين حسين الذي لازم الداغستاني في جولاته الفوتوغرافية وأنتج لاحقا العديد من الصور متأثرا بأفكار أستاذه مراد.

يمتد تآثر الفوتوغرافيين العراقيين بالداغستاني إلى عقدي السبعينات والثمانينات، ففؤاد شاكر كان يحفي بالأسود والأبيض ولا يلبق الصورة الملونة وأنتج صوراً في غاية التعبيرية تحتفي بالظل والضوء اللذين كانا الشاغل الأساسيين للداغستاني، كذلك استلهم هادي النجار أعماله من الدروس الفنية التي تركها الداغستاني منذ أول وهلة شاهد فيها أعماله.

كانت تقتصر على ما يسجله المصور بعدسته فقط ويترك الباقي من غسيل للصور للمختبرات التي كانت تتحكم بالألوان الصور وأحجامها، وبذلك يضع المصور نتاجه تحت رحمة غيره؛ ومن هنا أصبح التصوير الملون بالنسبة إلى مراد مجرد تسجيل واقع على سطح الفيلم الحساس دون أن يكون له دور في معالجة الصور بيديه، فاختفى الإبداع بالصور وأصبحت اللقطة هي التي تتكلم بنفسها عن الواقع دون أن يكون هناك تأثير فني على منطوق الصورة، وهذا ما يجعلها لقطة جامدة لا تروق لذائقة مراد الفنية.

عندما يقرأ فتح الله بوصفه فوتوغرافيا محترفا وقبل ذلك دارسا لعلوم الفيزياء، كيف صنع الداغستاني صورته بما كان يمتلكه من عدسات بسيطة، يرى من الصعب تقبل ذلك من دون دراية علمية في فن الفوتوغراف وعلم الضوء، في إشارة إلى أنه مبدع سبق عصره.

ويعبر عن توقعه بالقول "لو توفر للداغستاني ما توفر اليوم من برامج رقمية للتصحيح والإضافة الصورية وكاميرات رقمية وفتترات وأجهزة الإنارة بمختلف أشكالها التي تستخدم اليوم بالتصوير الحديث، لانتج لوحات بصرية تفوق مستوى الخيال لما يمتلكه من حسن فني وثقافة بصرية تسمح له أن يتفوق على الكثير من مبدعي التصوير في عصرنا هذا".

الداغستاني وكارش

يحاول مراد الداغستاني في كل صورته الشخصية التي التقطها لأصحاب الحرف والمجانين والعامه من الناس، أن يعزى الوجه البشري من الداخل، الأمر الذي دفع فتح الله إلى البحث عن الرابطة التي تجمع تآثر الداغستاني بالمصور العالمي يوسف كارش الذي التقط صوراً لكبار الساسة في العالم، إذ أن صورة ونستون تشرشل يتكى على قدمه الرابعة؛ من دون أن يكون السيجار في فمه تعد علامة فوتوغرافية تاريخية في البورتريه، تركها لنا إرث يوسف كارش، ثم صورة الممثل الأميركي همفري دي فورست بوكارت التي التقطها كارش عام 1947. وهناك العديد من نتاج الداغستاني ما يمثل ذلك خصوصا ما يتعلق بتوزيع الإنارة، كما في صورة الأفغاني في داخل أستوديو مراد في مدينة الموصل، كما التقط أكثر من صورة لشخصية تستهويه كما في وجه الرجل الذي

أظهر قساوة نظره وصلابة شخصيته، وصور أخرى للرجل نفسه عندما عمل أمام وجهه هالة ضبابية ليظهره بلامح حسادة، إذ كان الداغستاني شخصية مزاجية في اختيار من يصوره، فإذا ما وجد بالشخص المقابل إمكانية إخراج ما بداخل هذه الشخصية قام بتصويره وإذا ما شعر بعدم ارتياحه للشخص الذي أمامه اعتذر منه بشئتي الوسائل ومنتهى الأدب، وهذا

أعاد كتاب "مراد الداغستاني بين الفن البصري والتشكيل الفوتوغرافي" الذي صدر هذا الأسبوع، فتح نافذة النقد عن رائد فوتوغرافي عراقي بهرت صورته الأنظار مع مرور عشرات السنين من التقاطها، من دون أن يحظى بقراءة نقدية تليق بنتاجه.

العراق في فترات متأخرة، مع أنه شارك في عدة دورات للتصوير بالألوان لدى شركة أكفا كيغرت الألمانية.

الأهم من ذلك وفق تعبير المؤلف ان التصوير الملون لم يستهو الداغستاني كثيرا، ويرى فتح الله ان الداغستاني عرّف عن التصوير الملون ولم يرق له، لأن فكرة التصوير آنذاك



لا يكفي تآثر أرشيف مراد الداغستاني (رحل 1982) بكونه رائد التصوير الفوتوغرافي في العراق، بل يستمر هذا التأثير إلى صوري اليوم، بعد أن أثر على مجمل الأجيال من المصورين الذين ظهروا بعده. لقد ترك أثرا فنياً باهرا الأوان في كل لقطاته بالأبيض والأسود؛ وذلك مفارقة مثيرة، وإذا كان جزء من أرشيفه الفني متاحا اليوم، إلا أن الأرشيف الشخصي وما التقطه من صور لعامه الناس في أستوديو مراد في الموصل لا يزال موزعا بين المنازل العتيقة وفي اليوميات ذكريات الراجلين وأحفادهم.

توثيق فلسفة تصوير مراد الداغستاني، مهمة أناط بها نفسه الفوتوغرافي العراقي هيم فتح الله عزيزة في كتاب "مراد الداغستاني بين الفن البصري والتشكيل الفوتوغرافي"، عندما جمع ما هو متاح من أرشيفه الصوري في دراسة فنية استثمر فيها خبرته العلمية والفنية بقراءة تلك الصور التي لم تفقد دهشتها أمام العيون وبعد عشرات السنين من التقاطها.

وحلل عزيزة صورا باتت توثق ليوميات الفلاحين والصيادين والبدو الرحل وكاتبتي العرائض والمتصوفين وجميلات العراق وشواطئ الأنهار وأفران الفخار والأسواق العتيقة.. تركها الداغستاني كوثيقة تنبض بالحياة عن تاريخ عراقي مثير للحنين والتساؤل معا. واكتفى عزيزة بتعليقات عن طبيعة الصورة وطريقة التقاطها وطابعها، تمثل رؤيته الفوتوغرافية بنتاج الداغستاني، بينما بدت الحاجة النقدية والفنية عاجلة وملحة إلى إعادة قراءة هذا النتاج الباهر وعدم الاكتفاء بالقراءة الانطباعية، فالداغستاني أكثر بكثير من مصور فوتوغرافي، بل إنه فنان سبق عصره بعدسات بدائية نسبيا، عندما قرأ فلسفة الظل والضوء برؤيا فيزيائية ملم. فراد الداغستاني لا يكفي بدراسته الإعدادية وعدم إكمال دراسته الجامعية، إنه على درجة متقدمة من الرؤية والعمق الحسي وثقافة تحليل المحيط وقداعاته، يكشف لنا ذلك ما تركه من إشارة بلغة إنجليزية عميقة على بعض صورته، فثقافته جعلته يتقن إضافة إلى العربية اللغات الأرمنية والتركية والإنجليزية، وهذا قدر كاف جعله يطالع على ما يجري في فن التصوير في العالم، كل صور الكتاب بالأسود والأبيض، وذلك من حسن حظ الفوتوغراف! لأنه لم تكن أمام الداغستاني قبل رحيله فرصة للحاق بالتصوير الملون الذي دخل

كريم نعمة
كاتب عراقي مقيم
في لندن

لا يكفي تآثر أرشيف مراد الداغستاني (رحل 1982) بكونه رائد التصوير الفوتوغرافي في العراق، بل يستمر هذا التأثير إلى صوري اليوم، بعد أن أثر على مجمل الأجيال من المصورين الذين ظهروا بعده. لقد ترك أثرا فنياً باهرا الأوان في كل لقطاته بالأبيض والأسود؛ وذلك مفارقة مثيرة، وإذا كان جزء من أرشيفه الفني متاحا اليوم، إلا أن الأرشيف الشخصي وما التقطه من صور لعامه الناس في أستوديو مراد في الموصل لا يزال موزعا بين المنازل العتيقة وفي اليوميات ذكريات الراجلين وأحفادهم.

فلسفة العدسة

توثيق فلسفة تصوير مراد الداغستاني، مهمة أناط بها نفسه الفوتوغرافي العراقي هيم فتح الله عزيزة في كتاب "مراد الداغستاني بين الفن البصري والتشكيل الفوتوغرافي"، عندما جمع ما هو متاح من أرشيفه الصوري في دراسة فنية استثمر فيها خبرته العلمية والفنية بقراءة تلك الصور التي لم تفقد دهشتها أمام العيون وبعد عشرات السنين من التقاطها.

وحلل عزيزة صورا باتت توثق ليوميات الفلاحين والصيادين والبدو الرحل وكاتبتي العرائض والمتصوفين وجميلات العراق وشواطئ الأنهار وأفران الفخار والأسواق العتيقة.. تركها الداغستاني كوثيقة تنبض بالحياة عن تاريخ عراقي مثير للحنين والتساؤل معا.

واكتفى عزيزة بتعليقات عن طبيعة الصورة وطريقة التقاطها وطابعها، تمثل رؤيته الفوتوغرافية بنتاج الداغستاني، بينما بدت الحاجة النقدية والفنية عاجلة وملحة إلى إعادة قراءة هذا النتاج الباهر وعدم الاكتفاء بالقراءة الانطباعية، فالداغستاني أكثر بكثير من مصور فوتوغرافي، بل إنه فنان سبق عصره بعدسات بدائية نسبيا، عندما قرأ فلسفة الظل والضوء برؤيا فيزيائية ملم. فراد الداغستاني لا يكفي بدراسته الإعدادية وعدم إكمال دراسته الجامعية، إنه على درجة متقدمة من الرؤية والعمق الحسي وثقافة تحليل المحيط وقداعاته، يكشف لنا ذلك ما تركه من إشارة بلغة إنجليزية عميقة على بعض صورته، فثقافته جعلته يتقن إضافة إلى العربية اللغات الأرمنية والتركية والإنجليزية، وهذا قدر كاف جعله يطالع على ما يجري في فن التصوير في العالم، كل صور الكتاب بالأسود والأبيض، وذلك من حسن حظ الفوتوغراف! لأنه لم تكن أمام الداغستاني قبل رحيله فرصة للحاق بالتصوير الملون الذي دخل